1. علم الانسان و علم النفس

أن علاقة الانثروبولوجيا بعلم النفس لم تكن وثيقة في الماضي , فمع أن الموضوعين يدرسان مشكلات السلوك , إلا أن معظم علماء النفس ظلوا لفترة طويلة يهتمون بمشكلات السلوك الفردي , بينما كان الانثروبولوجيون يميلون الى التوصل الى تعممات تصدق على الجماعات و الثقافات الكلية , بغض النظر عن الحالات الفردية أو الشخصية . وحينما أخذ علماء الانثروبولوجيا يوجهون اهتمامهم نحو فحص العلاقة بين الثقافة و الشخصية , بدأت تظهر الرابطة بين علم النفس و الانثروبولوجيا , واستطاعت البحوث الانثروبولوجية المقارنة أن تقدم شواهد جديدة تدل على عدم صدق نظريات الغرائز القديمة , وضرورة تعديلها . كذلك افاد علماء الانثروبولوجيا في صياغة نظرياتهم من مفاهيم التحليل النفسي و الطب النفسي , ولا تزال التأويلات و التفسيرات السيكولوجية لكثير من الظواهر الاجتماعية سائدة بين علماء الانثروبولوجيا في الوقت الحاضر(1).

ولعل ثمار التفاهم و التفاعل بين هذين العلمين تتجلى في إثراء معرفتنا بالنظم الاجتماعية و العلاقات الاجتماعية من خلال الدراسات التي قدمتها الانثروبولوجيا عن نظم العائلة و الضبط الاجتماعي و القرابة و الزواج ... الخ , في المجتمعات المختلفة . وانعكس هذا الثراء المعرفيعلى علم النفس , حيث تمكن علماءالنفس من تصحيح بعض المفاهيم النفسية , ومراجعة بعض النظريات التي كانت راسخة في تراث هذا العلم . فنظرية (الغرائز) – التي كانت شائعة قديمآ فب علم النفس – قوضتها دراسات الانثروبولوجيين و السيكولوجيين الذين تأثروا بهذه الدراسات . ويأتي ستردوبيك Strodbic في مقددمة الذين هدموا نظرية الغرائز , و أوضحوا مدى ضحالتها و مبالغتها غي هذه الناحية . كذلك دحضت دورتي ايجان D.Dggan مركب أوديب Odiepus Complex من خلال الدراسة الانثروبولوجية الهامة التي أجرتها و قدمتها عن قبائل الهوبى Hobbi في شمال أريزونا . وهناك – بالاضافة الى ذلك – دراسة مرجريت ميد Mararet Mead عن المراهقة Adolescence في ساموا Sa-moa حيث أبطلت المزاعم المرتبطة بهذه المرحلة في المجتمعات الحديثة . ثم أكدت على أن مشكلات المراهقة و بخاصة عند الفتيات – التي تعتبر ظاهرة عامة و أساسية في الحياة الامريكية , لا توجد في مجتمع ساموا , و أن ظهورها يلازم نوعآ معينآ من البيئة الاجتماعية , أي أنها لا تنشأ عن الطبيعة , وأنما عن القيود التي تفرضها الحضارة الحديثة . وهنا

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

1. د. محمد علي محمد : المصدر السابق , ص 43 – 44 .

تدرس ميد الاختلافات القائمة بين الظروف التي تصاحب مراهقة الفتاة في ساموا في امريكا , وتتكلم عن الوضع الاجتماعي و طريقة التنشئة , ونوع الطفولة اتي تمر بها و المكانة التي تشغلها في حياة الأسرة و القرية و المجتمع المحلى الكبير و العلاقات الجنسية ... الخ. ونخلص من كل هذه المقارنات إلى أن الفوارق لا تكمن في عملية المراهقة ذاتها , بقدر ما تكمن في كيفية الاستجابة لها .

أضف إلى ذلك , أن دراسة روث بندكت Ruth Benedict على ظاهرة الحرب عند قبائل الاسكيمو , أبطلت المزاعم النفسية التي كانت تعتبر أن الحرب من الغرائز الفطرية . وقد تتبعت بندكت ظاهرة الحرب بالفحص و التحليل ووصلت إلى أن الاسكيمو لم يسمعوا من قبل عن الحرب – كلفظة لغوية – ولم يدركوا معناها أو المقصود منها(1) .

ومن اثار علم الانسان الهامة في علم الانسان هو تحديد الانثروبولوجيين لمفهوم الحضارة و ما قدموه عن جوانبها المتعددة من بحوث نظرية و تطبيقية و يقابل مفهوم الشخصية في علم النفس مفهوم الحضارة في علم الانسان .

وقد سعى علم الانسان الى تحقيق نظرة كلية للحضارة باعتبارها تنطوي على عناصر مترابطة . غير ان البرهنة على الترابط الحضاري هو اصعب من البرهنة في علم النفس على ترابط السلوك النفسي .

ومن الاتجاهات الاخرى التي تكشف عن تلاقي علم الانسان بعلم النفس ما يأتي:

1. اتساع ميدان التعاون في دراسات اللغة و علم النفس . يلاحظ ان دراسات الحضارة و الشخصية قد جرت في نطاق محدود . ولهذا كان لابد من ميادين اضافية تخدم اتساع علم الانسان و علم النفس وكان من هذه الميادين حقل اللغة الذي يعتبر مجالآ بكرآ غير مطروق بالنسبة لعلم النفس على الرغم من اعتراف علماء النفس بالاهمية الكبيرة للغة في السلوك الانساني . وقد افاد علماء النفس من بحوث الانثروبولوجيين عن علاقة اللغة و اصناف الادراك و الشعور وفي مقدمتهم (بنجامين ورف) Whorf و (دوروثي لي) Dorothy .

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

1. د. محمد علي المكاوي : المصدر السابق , ص 34 – 35 .
2. التركيز على تباين الظواهر الفكرية و السلوكية . هذا الجانب قد اصبح ايضآ مجالآ للتعاون بين علماء الانسان و علماء النفس . فعلماء النفس يهتمون بالفجوة الموجودة بين ما يقوله الناس و ما يفعلونه . او بين الشعور و اللاشعور . وقد اشترك علماء الانسان في دراسة هذا الجانب من السلوك و زاد تركيزهم عليه بصورة مطردة و يظهر هذا الاهتمام في تصنيف الانثروبولوجيا للسلوك الى الوجه الظاهر و الوجه المستور و تصنيف الحضارة الى الانماط الظاهرة و الانماط الخفية و قد انتقلت هذه المفاهيم من علم الانسان لعلم النفس .

جـ - ظهور نماذج علمية مناسبة و جديدة للعلمين .

وقد كان اكثر الخلاف بين علم الانسان و علم النفس راجعآ الى تركيز علماء النفس على الفرديةة في السلوك و تركيز علم الانسان على الواقعية الحضارية و الاجتماعية و التي عبر عنها علماء الانسان بمصطلحات متعددة منها (العقل الجماعي) Group Mind و (الاتجاه فوق العضوي) Superorganic .

غير ان كلآ من علماء الانسان و علماء النفس شعروا بعقم الاستقطاب بين البحوث المتصلة بالفرد و تلك التي تركز على النظام الحضاري و الاجتماعي و حاولوا التقريب بين الاتجاهين باعتبارهما يتكاملان و لا يجوز الفصل بيتهما . غير ان هذه الصيغة الجديدة التي تصل بين الفرد و الجماعة تتطلب جهدآ كبيرآ لكي تتطور و تأخذ شكلها المتبلور في كل من علم الانسان و علم النفس(1).

هذا و ان العلاقة بين علم النفس و الانثروبولوجيا الثقافية الامريكية هي وثيقة و قوية في الوقت الحاضر الا انها ما تزال ضعيفة مع الانثروبولوجيا الاجتماعية البريطانية لان علمائها يرون أن تفسير الحقائق الاجتماعية في ضور علم النفس الفردي ليس تفسيرآ مقبولآ و لا منطقيا لان علم النفس والانثروبولوجيا الاجتماعية يدرسات نوعين مختلفين من الظواهر . فالأول يدرس الحياة الفردية أو يمكن تسميته بالأنساق النفسية Psychological Systems و الانثروبولوجيا الاجتماعية تدرس الحياة الاجتماعية أو الأنساق

ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ

1. د. قيس النوري : المصدر السابق , ص 86 – 87 .

الاجتماعية Social System (1).